المحور الرابع : حضارات إنسان ما قبل التاريخ

تمهيـــد :

لقد مكنت الدراسات التي قام بها علماء ما قبل التاريخ بخصوص التطور الحضاري لإنسان ما قبل التاريخ في كشف العديد من جوانب حياة إنسان هذه المرحلة، وهي أبحاث مازالت قيد التنقيب والدراسة في محاولة لإعطاء صورة واضحة وشاملة عن حضارات إنسان ما قبل التاريخ في جميع نواحيها (الصناعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، ويتفق العلماء على تقسيم مرحلة ما قبل التاريخ إلى ثلاثة مراحل لكل مرحلة مميزاتها وخصائصها الحضارية وهذه المراحل هي : العصر الحجري القديم (الباليوليتي) والعصر الحجري الوسيط (الميزوليتي) والعصر الحجري الحديث (النيوليتي) .

أولا : السجل الحضاري للعصر الحجري القديم (paléolithique) :

1/ تعريف العصر الحجري القديم : ويقصد به الفترة القديمة للصناعات الحجرية ويمتد من حوالي 2.3 مليون سنة إلى حوالي 12 ألف سنة ق.م، وتنقسم هذه الفترة بدورها إلى ثلاثة مراحل هي : الباليوليتي الأسفل والباليوليتي الأوسط والباليوليتي الأعلى .

أ/ العصر الحجري القديم الأسفل : هو أحد المراحل الأساسية الأولى للعصر الحجري القديم و يمثل أقدم فترات الصناعات الحجرية على الإطلاق بناءا على الدراسات التي أجريت في مختلف مناطق المعمورة ، وينقسم هذا العصر إلى فترتين هما الباليوليتي القديم جدا والباليوليتي القديم .

أ-1/ حضارات العصر الحجري القديم الأسفل : تعتبر البقايا الحجرية عناصر شاهدة على أقدم إنتاج فكري و حضاري للمجتمع البشري، ففي إثيوبيا بموقع أومو (homo) عثر الباحث ج. شيفون على حصاة مشذبة من نمط شوبر لها مقاسات صغيرة وتعود الرواسب التي وجدت عليها إلى 2.1 مليون سنة ، وتحتوي هذه الأداة على كل الخصائص الصناعية الحجرية الناتجة عن تخطيط الإرادة الإنسانية ، كما اكتشفت نفس الصناعة بكينيا بموقع كوبي فورا أرخت إلى حوالي 1.8 مليون سنة ، أطلق عليها اسم الصناعة الشنغورية نسبة إلى تكوين شنغورة الهام بإثيوبيا و تشكل الحضارتان الألدوانية والأشولية أهم نماذج تطور الصناعات الحجرية خلال الباليوليتي الأسفل .

– الحضارة الألدوانية : تنسب هذه الحضارة إلى الموقع الشهير ألدوفاي بتنزانيا وتمتد هذه الحضارة زمنيا ما بين 1.8 و 0.4 مليون سنة ق.م، وتم العثور في سهول تنزانيا على عدة اكتشافات لبقايا أدمية وحيوانية وصناعية حجرية، وتتميز الحضارة الألدوانية عموما بما يلي :

- أهمية عناصر الطرق و القدح .
- تتميز الأدوات بمقاسات متغيرة .

ويقسم الباحثون صناعات هذه الحضارة إلى قسمين لكل منهما خصائص معينة ، وهما :

أ/ المرحلة الألدوانية القديمة: عثر على هذه الصناعة في نفس الطبقة التي ينتمي إليها الاوسترالوبيتاك بوازي ، وتتميز صناعات هذه المرحلة بما يلي :

- نسبة الحصى المشذب المتعدد الصفحات 10 %
- نسبة الحصى شبه كروي و الكروي 06 %
- نسبة الأدوات الشظوية الكبيرة و الثقيلة 8.6 %
- نسبة الفؤوس اليدوية 1.3 %

ب/ المرحلة الألدوانية المتطورة : وتنقسم هذه المرحلة بدورها إلى مرحلتين لكل منهما خصائصها و هي موضحة في الجدول التالي :

الألدواني المتطور(01)	الألدواني المتطور(02)
- انعدام الفؤوس اليدوية الحقيقة - ارتفاع الأدوات المشكلة على الشظايا - ارتفاع نسبة ما قبل الفؤوس اليدوية مقارنة بمرحلة الألدواني القديم	-قلة الفؤوس اليدوية -احتوائه على نفس الصناعات في الألدواني المتطور مع كثرة المكاشط و المحثات .

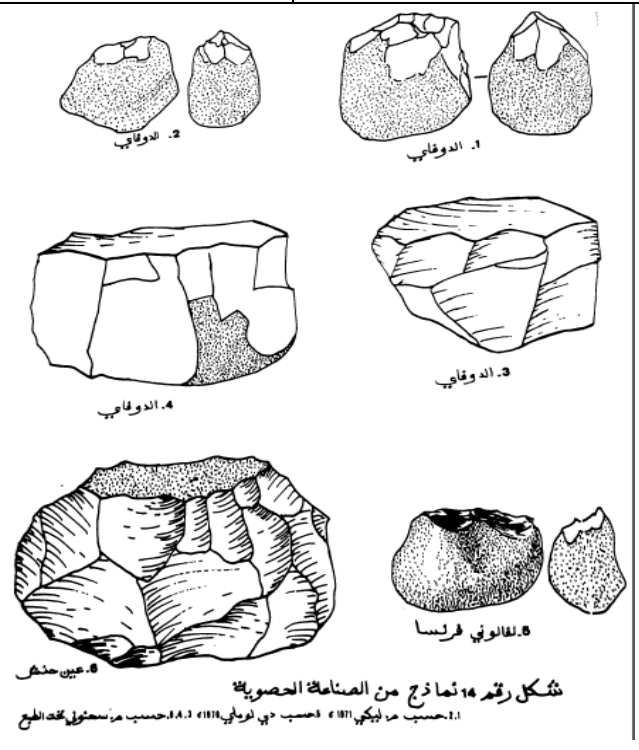

شكل رقم 14 نماذج من الصناعة الحصوية

2/ الحضارة الأشولية : تنسب هذه الحضارة إلى موقع سانت أشول (saint acheule) الواقع في إحدى ضواحي أميان شمال فرنسا . وقد تمّ اكتشاف عدة أدوات حجرية تتمثل في الفؤوس اليدوية أو ذو الوجهين (bifaces) والتي تعتبر الميزة الأساسية لهذه الحضارة ، وصانع هذه الحضارة في الغالب هو الإنسان المعتدل (homo erectus)، وتتكون الحضارة الأشولية من عناصر عديدة مختلفة الشكل والحجم والتقنية أهمها:

– الفؤوس اليديوية (ذو الوجهين) : تعتبر الفؤوس الأكثر تمثيلا في الحضارة الأشولية وهي تحتوي على ثلاث عائلات كبرى (عائلة الفؤوس المثلثية، والمثاريق الطويلة والشبه مثلثة، عائلة الفؤوس القلبية، والقلبية الطويلة، واللوزية الشكل والرمحية، عائلة الفؤوس البيضاوية وتتشكل من الفؤوس البيضاوية والأسطوانية) .

– المثلثات: وهي فؤوس لها ثلاثة أوجه في طرفها الأبعد تتميز بالسمك وهي قليلة الرواج مقارنة بالفؤوس من نمط ذو الوجهين .

– الفؤوس الصغيرة .

– الصناعة الشظوية : تتمثل الصناعة الشظوية في تحويل الشظايا إلى أدوات مختلفة كالمكاشط و المحكات .

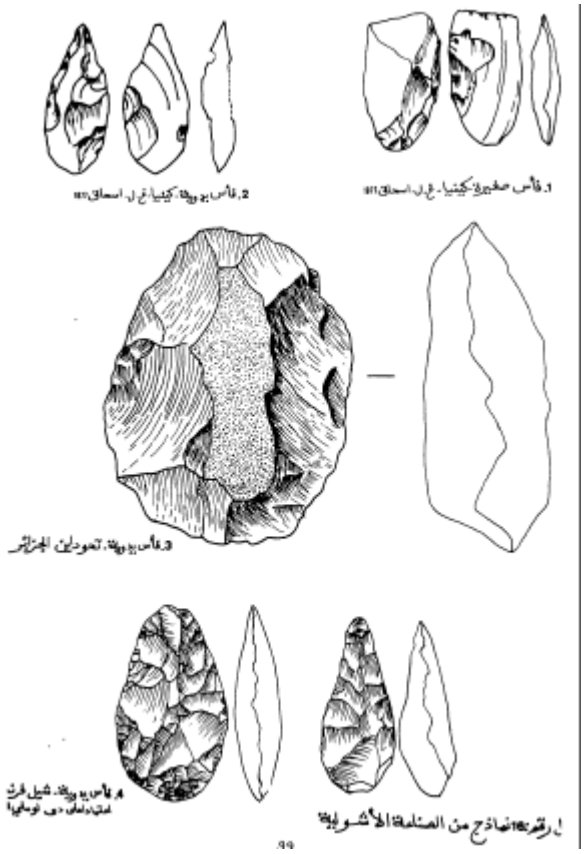

مواقع الحضارة الأشولية: ظهرت الحضارة الأشولية في مناطق عديدة من العالم أهمها :

– **في المغرب الأقصى** : مغارات سيدي عبد الرحمان بالدار البيضاء ، و مغارات تيمارا بالقرب من الرباط .

– **في تونس** : منطقة سيدي الزين قرب الكاف ، وكذلك في قفصة .

– **في الجزائر** : تعتبر الجزائر أهم المناطق التي ظهرت فيها الصناعات الأشولية ممثلة في المواقع التالية : الماء الأبيض (تبسة) ، بحيرة كرار و أوزيدان (قرب تلمسان) و موقع تيغنيف بمعسكر ، وموقع شامبلان بالعمارية ولاية المدية .

وعموما كان للحضارة الأشولية الفضل في ظهور أثار صناعات كثيرة بأوربا و الولايات المتحدة لأمريكية ، و المكسيك وغرب إفريقيا و الشرق الأدنى و الهند .

إنسان الحضارة الأشولية : أهم الاكتشافات البشرية التي ترجع إلى هذه الحقبة هي :

– العثور على جمجمة بشرية بالصين سنة 1929 .

– العثور على قطع عظمية يمكن أن تكون بشرية في مقاطعة بلتندوان بانجلترا سنة 1911 وهي التي تعرف باسم إنسان بلتندوان .

- العثور على جمجمة وعظام فخذ بـ جاوة سنة 1856 .
- العثور على إنسان نياندرتال بألمانيا سنة 1856 .
- اكتشاف ملامح سلالة بشرية تعرف بإنسان كروما نيون بأوربا (فرنسا، ألمانيا، انجلترا)

ويعرف هذا الإنسان بساكن الكهوف .

- في المغرب العربي لم يتم العثور على سلالة الاوسترالوبيتاك غير أنه تم العثور على كائنات بشرية ترجع لإنسان الأطلس وذلك في الغرب الجزائري وعثر معها على صناعات أشولية ، كما تم العثور على بقايا بشرية بإحدى مغارات ليتورين بسيدي عبد الرحمان وبقايا لقوس جمجمة في مغارة (المهربين بتيمارا) بالرباط .
- وجدت نماذج إنسان بتيكونتروبوس بألدوفاي وسيناتروب بالصين تعود كذلك لنفس العصر .

أ–2/ حضارات العصر الحجري القديم الأوسط : يختلف الباحثون في تحديد الإطار الزماني لهذا العصر فمنهم من يحصره بين 40 ألف و25 ألف سنة ق.م، ومنهم من يحصره بين 70 ألف و20 ألف سنة ق.م، وعرف هذا العصر تقنيات جديدة في الصناعة الحجرية أطلق عليها الغربيون أسماء من مواقعهم الأثرية لما قبل التاريخية وهي التقنيات اللوفلوازية (lavaloisie) والموستيرية، وللحصول على أدوات ذات طابع لوفلوازي كان لزاما على إنسان هذه الفترة أن يحضر الحجر الخام أو الحصى ثم يقوم باجراء تشذيبات على حوافه متخذا اتجاها واحدا للطَرْق وذلك من المحيط الخارجي إلى النواة ليحصل على الشظية المطلوبة والتي تصبح فيما بعد الأداة المطلوبة ، عموما هذا هو الطابع الغالب على معظم الصناعات الحجرية لهذه الفترة . وتتكون الأدوات اللوفلوازية من الأدوات التالية :

– شظايا حادة الرأس بيضاوية الشكل أو مثلثية .

– المكاشط والتي يفترض أنها استعملت خلال الفترة الجليدية .

ويضم الباليوبيتي الأوسط الحضارات التالية :

– الحضارة الموستيرية : تنسب هذه الحضارة إلى موستير (بالدرودن) في فرنسا ، صانع هذه الحضارة هو الانسان الموستيري الذي يعتقد انه إنسان نياندرتال وتتمثل معظم الصناعات الموستيرية في : المحكات و المثاقب ، ورؤس الحراب و بعض الفؤوس اليدوية .

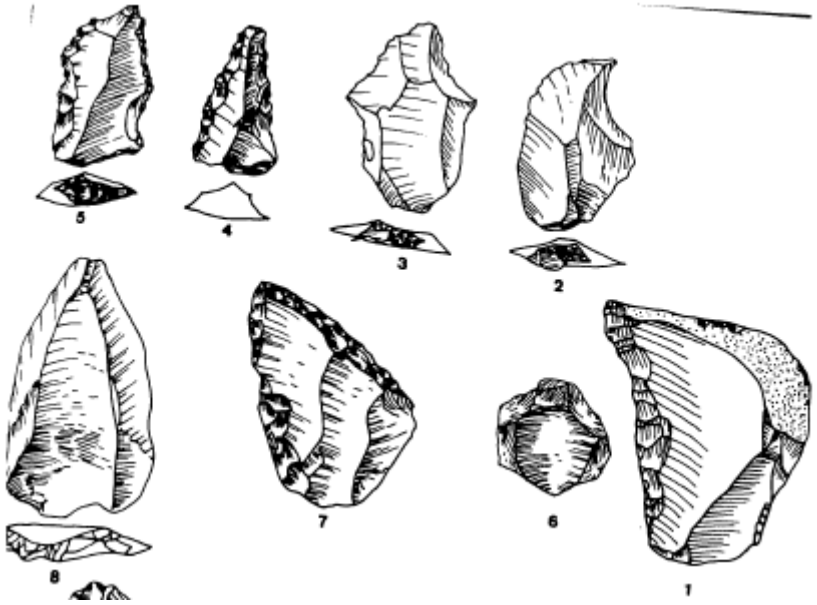

مواقع الحضارة الموستيرية : عثر على صناعات موستيرية في عدة مناطق من العالم أهمها :

– أوربا : بلجيكا ، جنوب ايطاليا، انجلترا ، ألمانيا ، اسبانيا وروسيا .

– الشرق الأوسط : خاصة في فلسطين والعراق .

– المغرب العربي : يعرف منها 11 موقعا ، ففي تونس تتمثل في موقع واد العقارب بالقرب من قابس،وموقع القطار قرب قفصة، وفي الجزائر تتمثل في موقع الرطايمية و رأس تنس وحي مالكي بالعاصمة، وموقع مغارة تيمية قرب وادي رهيو (حوض الشلف)، وفي المغرب الاقصى تتمثل في موقع جبل ارحود (جنوب شرق مدينة اسفي) .

الحضارة العاترية : اكتشفت الصناعة العاترية من طرف الباحث "م.ريقاس" بموقع وادي جبانة بمنطقة بئر العاتر قرب مدينة تبسة ومنها تستمد تسميتها، وقد اكتشفت صناعات عاترية في مواقع أخرى كليبيا والمغرب الأقصى وبذلك فان الحضارة العاترية لم تكن حضارة محلية خاصة ببئر العاتر بل انتشرت في منطقة ضيقة من الشمال الإفريقي وبعض مناطق الصحراء الكبرى وامتدت تأثيراتها إلى كامل الرقعة الآفرو–عربية و بعض الهوامش المتوسطية حيث عثر على مواقع أثرية عاترية في مصر العليا .

وتؤكد البحوث أن الصناعة الحجرية العاترية مستمدة من الحضارة الموستيرية وذلك بالنظر إلى التشابه الكبير بين صناعات الحضارتين (تقنيا وتنميطيا) ، حيث أن الصناعة العاترية في حقيقة الأمر عبارة عن صناعة موستيرية مضاف إليها عنق في الجهة القاعدية للأداة .

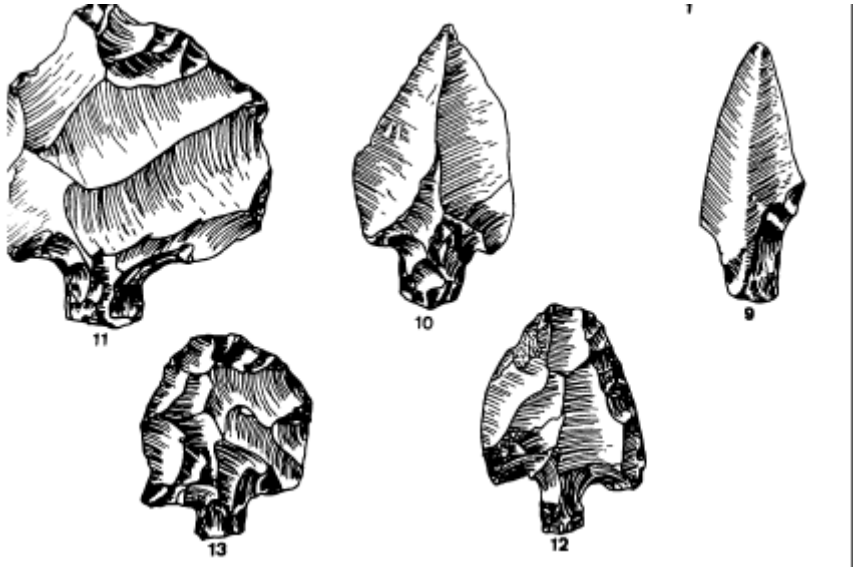

مواقع الحضارة العاترية : تتمثل أهم مواقع الحضارة العاترية فيما يلي :

- **في الجزائر** : موقع وادي جبانة ، الخروبة و أدرار، إضافة إلى موقعي واد جوف و الشعاع بالشرق الجزائري .
- **في المغرب الأقصى** : موقع منطقة الحنك و دار السلطان وعين جمعة .
- **في تونس** : الرأس الأبيض و المنستير .

أ–3/ حضارات العصر الحجري القديم الأعلى : الباليوليتي الأعلى هو فترة حضارية تلي الباليوليتي الأوسط تبدأ في حدود 35 ألف سنة وتستمر إلى حوالي 9 ألاف سنة ، صانع هذه الحضارة هو الإنسان العاقل العاقل الشبيه بالانسان الحديث ، عرفت الصناعة الحجرية خلال هذه الفترة تغيرات عميقة حيث ابتكرت تقنيات تقصيب جديدة كالتقصيب النصالي و النصيلي و تقنية المحت ،كما استعملت الأدوات العظمية ، و قام إنسان هذه الفترة بالتعبير عن حياته اليومية من خلال الرسم على الصخور . وتميزت الصناعة الحجرية خلال هذه الفترة بالتعقيد و التشعب إلى أن أصبحت جد محلية . و أهم حضارات هذه المرحلة هي :

الحضارة الايبيروموريةِ : سميت هذه الحضارة بهذا الاسم من طرف الباحث "بلاري" سنة 1909 عندما اكتشف بعض النماذج الصناعية بموقع المويلح بالقرب من مغنية (ولاية تلمسان) وكان يعتقد أن هذه النماذ ج متأثرة بالصناعات القزمية في شبه الجزيرة الأيبيرية ، ومنه اقترح تسميته (الايبيرو–مورية) على أساس أنها مركبة من صناعتين الاولى ايبيرية و الثانية محلية(مغربية) . وبعد سلسة من الأبحاث اكتشف أن الصناعة التي عثر عليها بالمويلح لا علاقة لها بالصناعة الإيبيرية و إن هذه الصناعة (المويلح) هي صناعة محلية ، وبموجب ذلك استقرت التسمية عند الايبيروموريةِ مع اعتبارها حضارة محلية لا علاقة لها بالايبيرية ، ولذلك تم حذف الوصل بين الابيرو و المورية و أصبحت التسمية ايبيروموريةِ .و زمنيا ظهرت الحضارة الايبيروموريةِ حوالي 22 ألف سنة وهي بذلك تسبق الحضارة القفصية .و جغرافيا تستقر هذه الحضارة على المناطق الساحلية للبلاد المغربية .

ويسمى صانع هذه الحضارة بإنسان مشتى العربي الذي كان يسكن في الهواء الطلق على الشواطئ قرب السواحل أو السكن داخل المغارات المتواجدة في سواحل البحر الأبيض المتوسط .

خصائص الصناعة الايبيروموريةِ : تتميز هذه الصناعة بما يلي :

بالنسبة للتقصيب	بالنسبة للأدوات الايبيروموريةِ
-استعمال مواد أولية حسب المواقع (صوان ،كوارتز ، صخور بركانية) - صغر النوويات للحصول على النصيلات .	- كثرة الأدوات المصنوعة من الشظايا كالمكاشط . - افتقارها للمحتات .

- قلة النوويات ذات الشكل الهرمي . - قلة النوويات بمسطحين للضر المتقابلين . - احتوائها على نوويات عادية .	- قلة المحتات القزمية . - كثرة النصيلات ذات الظهر التي تعتبر الميزة الأساسية للصناعة الاييبيرومورية - قلة القطع المهذبة مثل الشظايا و النصال التي أطرافها تحمل تهذيبات من الوجهين . - قلة الصناعات العظمية .

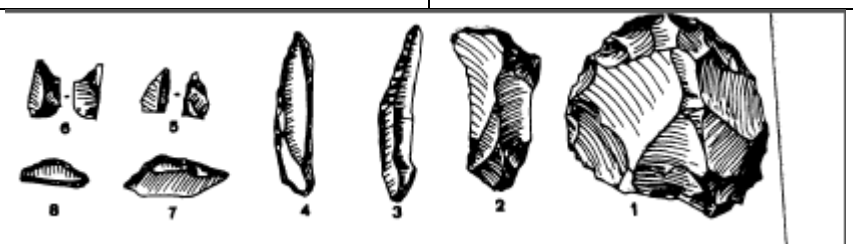

الحضارة القفصية : سميت هذه الحضارة بهذه التسمية نسبة إلى منطقة قفصة (جنوب تونس) ، وأثبتت الدراسات على وجود أثار للصناعة القفصية خارج مجالها الجغرافي في كل من سطيف (موقعي المجز وعين بوشريط)، وفي قسنطينة، وتبسة (موقعي أزفانة والمخادعين الذكارة)، وفي تيارت (موقعي كلومناطة و عين كيدا) .

مراحل الحضارة القفصية : تتشكل الحضارة القفصية من مرحلتين أساسيتين هما :

– **مرحلة قديمة** : خلال هذه المرحلة كانت الحضارة القفصية منحصرة في قفصة وتبسة أما صناعاتها فتتمثل في المحتات والنصيلات ذات الظهر والشفرات والرؤوس ذات الظهر والمحكات .

– **مرحلة القفصي العليا** : تتميز هذه المرحلة بتوسع الحضارة القفصية وانتشارها خارج حدودها إلى غاية سطيف و قسنطينة و وتيارت .

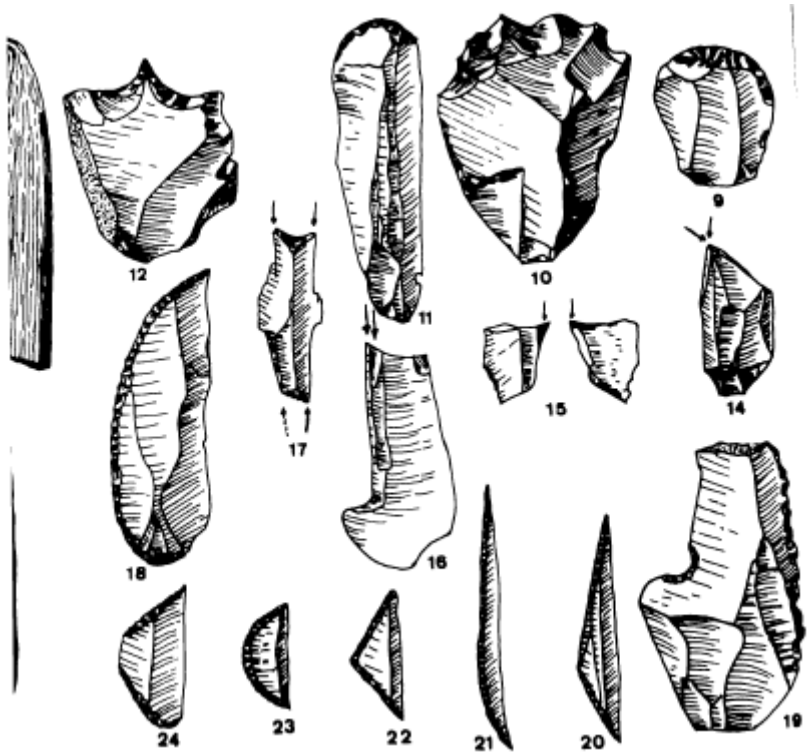

السلالات البشرية خلال الباليوليتي الأعلى :عرفت هذه المرحلة ظهور جنس جديد عرف بالإنسان لعاقل (homo sapiens) والذي يعرف بسلالتين في بلاد المغرب هما : إنسان مشتى افلو أو مشتى العربي و الإنسان ما قبل المتوسطي صاحب الحضارة القفصية .

الفن والنقش و الرسوم الجدارية خلال الباليوليتي الأعلى : سجل العلماء عدة مظاهر فنية خاصة عند القفصين منها زخرفة قشور بيض النعام . كما نقش الإنسان القفصي على الصخور وصوّر رسوما هندسية غريبة وأشكال لحيوانات مثل الطيور.

ثانيا : السجل الحضاري للعصر الحجري الوسيط (mésolithique)

تعريف العصر الحجري الوسيط : هو عبارة عن مرحلة انتقالية قصيرة تقع بين العصر الحجري القديم و العصر الحجري الحديث (النيوليتي) ودقق إنسان هذه المرحلة في صنع الأدوات الحجرية حيث أصبحت قزمية (ميكروليتيك) و متعددة الأشكال و الوظائف . و وأهم حضاراته :

الحضارة النطوفية : نسبة غلى مواقع واد الناطوف غرب القدس بفلسطين ، وقد عثر الباحثون في طبقات هذا الموقع على أثار تشمل مرحلة جمع الطعام من ناحية ، أي أثار الصيد وأثار بداية الانتقال نحو الاستقرار من ناحية أخرى فهناك الأدوات الحجرية ورؤوس السهام و المناجل و قد جمعت الحضارة الناطوفية في مواقعها بين الكهوف و المساحات الممتدة أمامها و بصفة خاصة في نواحي جبل الكرمل و في وادي نهر الأردن. ودلت المخلفات الأثرية كالمناجل و النصال و المدقات إلى ممارسة الحصاد و تحضير واستهلاك الإنسان الناطوفي للغذاء كالشعير و القمح و الجوز البلوط. كما دلت الآثار انه احترف حفظ الطعام الفائض عن الحاجة ، واحترف كذلك الصيد بما فيه صيد الأسماك . وقد أكدت ال دراسات أن صانع هذه الحضارة هو إنسان كرومانيون .

ثالثا : السجل الحضاري للعصر الحجري الحديث (néolithique)

1/ تعريف العصر الحجري الحديث : هو الفترة الزمنية التي تبدأ في حدود 7000 سنة ق.م وتستمر إلى غاية اكتشاف الكتابة حوالي 3300 سنة ق.م ، عرفت هذه المرحلة تحولات عميقة في الجانب التقني الصناعي ، والاجتماعي والاقتصادي لإنسان ما قبل التاريخ إلى حد أن اعتبرها بعض الباحثين ثورة نيوليتية (la révolution néolithique) .

2/ انجازات الإنسان خلال النيوليتي : يعتبر انتقال الإنسان من العصر الحجري الوسيط إلى العصر الحجري الحديث ثورة حقيقة في حياة إنسان ما قبل التاريخ الذي انتقل من حياة تقوم على القطف و الصيد و الرحيل إلى حياة تعتمد على الزراعة و تربية الحيوانات . كما قام الإنسان في هذه المرحلة بانجاز القرى الأولى التي تتوسع إلى مدن عن طريق إنشاء المسالك و الطرق المساعدة على تطوير العلاقات وخلق التبادل التجاري . إنّ قيام الثورة النيوليتية أدى إلى تحقيق مكسبين هما :

– **المكسب الأول** ذو طابع تقني يتمثل في استمرار الإنسان لصناعة الأدوات الحجرية لكن مع إدخال بعض التقنيات عليها كالصقل، و قيامه بتحديث أسلحته و أدواته حيث صمم البكرات و الرافعات و الملاقط و الفؤوس والسلالم و الأزاميل و المغازل و المناجل والمشابك والقباقب للانزلاق على الثلج ، كما انتشرت صناعة الفخار و النسيج ، ثم اخترع العجلة .

– أمّا **المكسب الثاني** فهو ذو طابع اقتصادي اجتماعي يتعلق بالإنتاج الزراعي و استئناس الحيوانات و الاستقرار . ففي هذا العصر ظهرت الزراعة التي تعتبر الانقلاب الأول في تاريخ البشرية كلها حيث انتقل الإنسان من طور الصيد إلى زراعة الأرض ورعايتها وتؤكد الدلائل الأثرية على أن سكان هذا العصر أكلوا القمح والذرة والشوفان والشعير و كثيرا من الفاكهة. كما قام إنسان هذا العصر باستئناس الحيوان و تربيته و ترويض الحيوانات المفترسة و يعتبر الباحثون أن الكلب هو أول أصدقاء الإنسان ثم الماعز والخرفان والخنازير والثيران ...الخ .

3/ ظهور العصر الحجري الحديث وانتشاره : لم يظهر النيوليتي في جميع أنحاء العالم في فترة زمنية واحدة ، بل إنه ظهر أولا في الشرق الأوسط في حدود 7000 سنة ق.م، و الصحراء في حدود 6000 سنة ق.م، ويبرز في أوربا في حدود 5000 سنة ق.م .